

ومحاوراتهم إذ كانوا يؤلفون بين الدرة والبعرة في نظامهم. فجمعت في كتابي هذا لجميع الطبقات أجناساً من ألفاظ كتاب الرسائل والدواوين البعيدة من الاشتباه والإلتباس السليمة من التقعير. المحمولة على الاستعارة والتلويح. على مذاهب الكتاب وأهل الخطابة دون مذاهب المستغربين والمتفاسحين من المتأدبين والمادبين المتكلفين. البعيدة المرام على قربها من الأفهام. في كل فن من فنون المخاطبات. فالتقته من كتب الرسائل وأفواه الرجال وعروضات الدواوين ومحافل الرؤساء. ومتخذه من بطون الدفاتر ومصنفات العلماء فليست لفظه منها إلا وهي تنوب عن أختها في موضعها من المكاتبة أو تقوم مقامها في المحاوره إما بمشاكله أو بمجانسة أو بمجاورة. فإذا عرفها العارف بها وبأماكنها التي توضع فيها كانت له مادة قوية وعوناً وظهيراً. فإن كتب عدة كتب في معنى تهنئة أو تعزية أو فتح أو وعد أو وعيد أو احتجاج أو جدل أو شكر أو استبطاء أو اعتذار أو عهد من عهود الولاة والحكام أو تأسيس جماعة أو تشبيب بحاجة أو مطلب أو موافقة أو صدر دستور أو حكاية حساب أو كتاب ضمان أو غير ذلك أمكنه تغيير ألفاظها مع إفاق معانيها. وأن يجعل مكان : (أصلح الفاسد) : لم الشعث. ومكان (لم الشعث) رتق الفتق وشعب الصدع. وهذا قياس فيما سواه من أبواب ألفاظ هذا الكتاب. وإن تعد به حسن المعنى لم يعلم من ألفاظه ما هو من بناء الكلمة. ولا غنى بالكاتب البليغ ولا الشاعر المفلق ولا الخطيب المسقع عن الاقتداء بالأولين والاقتباس من المتقدمين.

واحتزاء مثال السابقين فيما اخترعوه من معانيهم وسلكوه من طرقهم. كأن الأول لم يترك للآخر شيئاً. فمن أخذ منهم معنى بلفظه فقد سرقه، ومن أخذه ببعض لفظه فقد سلخه، فمن أخذه عارياً وكساه من عنده لفظاً فهو أحق به ممن أخذ منه. والمقل من الألفظ يعجز عن تغيير معنى عن صورته ونقله عن حليته. ومن كان كذلك لم تكمل آتته ولم تجتمع أدواته وكان النقص لازماً له. واللفظ زينة المعنى. والمعنى عماد اللفظ. ولكن مما يحمد من التأليف والنظم أن يكون كما قلت : تزين معانيه وألفاظه وألفاظه زائبات المعاني فإذا كانت الألفاظ مشاكلة للمعاني في حسنهما والمعاني موافقة للألفاظ في جمالها وانضاف إلى ذلك قوة من الصواب وصفاء من الطبع ومادة من الأدب وعلم بطرق البلاغات ومعرفة برسوم الرسائل والمكاتبات كان الكمال وبالله التوفيق.